تل حلف، قصة حضارة عمرها أكثر من 8 آلاف عام

سريه كانيه – لم يكن يعلم البارون الألماني ماكس فون اوبنهايم " Max von Oppenheim" ذو الاصول اليهودية وقبل لقاءه بشيخ قبيلة بدوي عن طريق الصدفة أثناء سفره من حلب إلى بغداد في عام 1899 أنه سيكتشف حضارة عمرها أكثر من 8000 عام ، حيث أخبره الشيخ عن ظهور تماثيل أثناء دفن أموات مدينة سريه كانيه في موقع تل حلف.



تل حلف، هي التسمية التي تطلق على الفترة الزمنية ما بين 6000 إلى 4000 قبل الميلاد "العصر الحجري– النيوليتكي" وتعرف هذه الفترة باسم آخر وهو "ثقافة تل حلف" وتميزت تلك الفترة بصناعة الادوات الفخارية كالصحون وأوعية المياه وصناعة أدوات الصيد الحجرية، كما اكتشف فيها الزراعة وتربية الحيوانات وتعتبر تل حلف بحسب التنقيبات الأثرية المركز الأول الذي انطلق منه الإنسان الحضاري الذي اعتمد على اسلوب الحياة المتحضرة.

*الموقع

على بعد حوالي 3 كم غرب مدينة سريه كانيه تقع بلدة "تل حلف" التي تأخذ أسمها من التل الأثري الموجود في البلدة ويبلغ عدد سكانها حوالي 5000 نسمة، يمتد التل بشكل أقرب الى الطولي من الشرق إلى الغرب وعلى مسافة تقدر بنحو 500 X 300 متر. ويحد التل من الجهة الشمالية أحد روافد نهر الخابور ومصدرها ولاية روها "اورفا" في شمال كردستان ويقع التل في منطقة تعتبر أراضيها الأخصب في المنطقة، وعبر آلاف السنين أعتمد اهالي تلك المنطقة على الزراعة وتربية الحيوانات وإلى يومنا هذا لا يزال أهالي المنطقة يعتمدون بشكل اساسي في تدبير أمورهم المعيشية على الزراعة وتربية الحيوانات.

*ماكس فون اوبنهايم، أكتشف تل حلف وكان سبباً في تدمير معظم آثارها

عند البدء في دارسة موقع تل حلف الأثري لابد من أن يتعرف أي باحث على البارون الألماني ماكس فون اوبنهايم ذو الاصول اليهودية الذي درس القانون وعمل في العديد من المجالات الادارية وسافر إلى منطقة الشرق الاوسط عدة مرات حيث كان يعمل في السلك الدبلوماسي قبل أن يلتقي بذلك الشيخ البدوي عن طريق الصدفة والذي أرشده إلى مدينة سريه كانيه التي تقع بالقرب منها موقع "تل حلف"، لكن ما اكتشفه اوبنهايم في التل كان سبباً في تدمير معظم تلك الاثار بسبب نقلها إلى برلين.

وفي عام 1899 أكتشف اوبنهايم موقع تل حلف وبعد التنقيب بشكل أولي في نفس العام ادرك اوبنهايم أن التل يخفي العديد من الحضارات وفي ربيع 1909 تقدم بطلب رسمي للتنقيب إلى المملكة العثمانية ومنحت رخصة التنقيب في 1325/9/29 هجري وبدأت أعمال التنقيب الاثري في 5 آب 1911 بعد أن ترك وظيفته في السلك الدبلوماسي الخارجي وجلب جميع ادوات التنقيب من ألمانيا وفي 1913 توقفت اعمال التنقيب وكان من المقرر استئناف العمل في شتاء 1914/ 1915 لكن اعمال التنقيب توقفت بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى وبعد 14 عاما عاد اوبنهايم في ربيع 1927 إلى تل حلف، لكن عند عودته كانت القطع الاثرية قد تعرض قسم منها للكسر بسبب استخدامها من قبل الأرمن كمواد لبناء المنازل.

وفي عام 1920 تم جمع التماثيل التي اكتشفت خلال 1911- 1913 وتم بموجب اتفاق بين اوبنهايم والفرنسيين تقسيم القطع الاثرية بحيث يبقى قسم منها في متحف صغير أسس في حلب أما الأخرى تنقل إلى برلين.

انجز اوبنهايم سنة 1929 اخر تنقيب له في تل حلف وتم تسليم القطع الاثرية المنقولة إلى المانيا إلى قسم الاثار الشرقية القديمة في متاحف برلين حيث نقل 43 صندوقا من القطع الاثرية إلى برلين بعد اكتشافها في عام 1913 وبلغت نفقات الحملات التنقيبية 275000 مارك وبسبب خلاف على تسديد النفقات من قبل الجهات الرسمية الالمانية افتتح في عام 1930 "متحف تل حلف" في برلين – شارلتون بورج Franklin ووضع فيه آثار تل حلف.

*تدمير آثار تل حلف

في عام 1943 تعرض متحف تل حلف في شارع Franklin في برلين للقصف الجوي ثلاثة مرات من قبل قوات الحلفاء وبذلك تحولت القطع الاثرية إلى رماد فيما تفتت اثار أخرى إلى قطع، لكن الشيء اللافت إن الاثار التي كانت في المتاحف الحكومية الأخرى في برلين لم تتعرض لأذى بسبب نقلها إلى المستودعات الأرضية المبنية من الاسمنت، وفي آب عام 1944 وبعد التوصل الى تفاهم بين اوبنهايم والمسؤولين عن المتاحف الحكومية نقلت تسع شاحنات من الانقاض الى مستودع قسم الاثار الشرقية القديمة في المتاحف كما لم تتأثر بعض القطع الاثرية التي كانت موجودة من قبل في ممرات المتاحف الالمانية.

*قطع تل حلف في السوفييت تعاد إلى المانيا

استولت القوات السوفيتية على قطع تل حلف التي كانت في متاحف برلين عام 1946 لكن في سنة 1958 عاد قسم كبير منها الى المانيا ومن بينها طائر العنقاء، لكن هل سنشهد يوما عودة ما تبقى من تلك الاثار الى مكانها الاساسي في روج آفا بعد أن سُلبت تلك الآثار ووزعت من قبل الانظمة التي احتلت كردستان دون أن يكون للشعب الكردي ومكونات المنطقة أي قرار في التنقيب عنها أو ارسالها.

*قطع تل حلف في امريكيا وفرنسا

كما سافر اوبنهايم في فترة الثلاثينيات الى امريكيا ونقل معه 8 قطع حجرية وحفظت في نيويورك في مخزن لأدوات مقاومة الحرائق تابع لشركة Haha Brothers ثم نقلت بعد ذلك في سنة 1945 الى متحف المتروبوليتان ومعرض Walter Art Gallery في بالتيمور، كما نقلت قطع من تل حلف الى متحف اللوفر في فرنسا.

*قطع تل حلف في متحف حلب ودير الزور

لا تزال مجموعة من القطع الاثرية التي نقلها اوبنهايم الى حلب موجودة الى الوقت الحاضر في قاعة "تل حلف" في المتحف الوطني بحلب ومن تلك القطع الاثرية تماثيل ولوحات حجرية مرسومة عليها حيوانات كالثيران والغزلان ولوحة مميزة مرسوم عليها طاؤوس الملك وقرص دائري في مكان الرأس يبدو انه يمثل الشمس ويرزح تحت الطاؤوس 3 شخصيات اسطورية ممزوج بين الانسان والحيوان بالاضافة الى ذلك يوجد في مدخل متحف حلب نموذج منسوخة من تماثيل كشف عنها في التل.

وبالاضافة الى حلب نقلت القطع الاثرية التي اكتشفتها البعثة الالمانية في عام 2006 الى متحف دير الزور.

*علماء ألمان ينجحون بتجميع 27000 قطعة

في شهر كانون الثاني من عام 2011 نجح علماء آثار المان بتجميع 27000 قطعة من مقتنيات متحف "تل حلف" في برلين وافتتح متحف بيرغامون في برلين معرضاً ضم مجموعة من التماثيل التي اكتشفها اوبنهايم، واستغرقت عملية تجميع تلك القطع فترة 10 سنوات بدأت منذ عام 2001 وانتهت في 2011 حيث عرض متحف البيرغامون 500 قطعة أثرية ضمت نحو حوالي 60 تمثالاً.

*ماذا اكتشف في تل حلف؟

عثر المنقبون خلال عملهم في أعماق تل حلف حتى ووصلوا الى الطبقات الارضية الاساسية، على قطع فخارية ملونة من عصور ما قبل التاريخ، وكون تلك الأواني الفخارية باتت الآن معروفة ومفهومة ضمن إطار جغرافي واسع، فان الباحثين باتوا يسمون ذلك الفخار الذي يمثل تقاليد ذلك العصر بفخار تل حلف، نسبة الى أول مكان أساسي عثر فيه على نماذجه.

وتسمية ثقافة تل حلف تدل على مجموعة سكانية كانت تعتمد في الغالب على الحياة الزراعية وكان العنصر الرابط بينها خلال 6000 – 4000 قبل الميلاد هو الفخار الملون والذي تشكلت في جميع ارجاء شمالي بلاد الرافدين.

كما أكشف المنقبون خلال اعمالهم على قصرين في التل من الجهة الشمالية الشرقية، والغربية يعود الى الاراميين الذين سكنوا في تل حلف ما بين أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد وكان يطلق على تل حلف حينها اسم جوزانا التي كانت عاصمة إمارة بيت بخياني، وأظهرت التنقيبات الاثرية أن حاكم اسمه كابارا شيد القسم الغربي من القصر والذي سمي بقصر المعبد وأمر باستخدام الكتابة المسمارية على جدران القصر ووقعت جوزانا تحت الحكم الآشوري في الفترة 912- 891 قبل الميلاد.

*اوجلان: لا يمكن مقارنة فترة ثقافة تل حلف إلا بأدوات القرن 16 - 20

تناول قائد الشعب الكردي عبد الله اوجلان في المرافعات المقدمة إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، بعنوان "من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية" بشكل عميق حضارة تل حلف وأفرد لها جزءً كبيراً من المرافعات.

وقال أوجلان واستناداً إلى نظرية التاريخ العلمي "إن المجتمع النيوليثي تطور على طول ضفاف الفرات وأواسط دجلة بين عامي 6000 – 4000 ق.م؛ ففي الوقت الذي مرّ فيه بمرحلة سميت بثقافة تل حلف، فإنه وصل في أعوام 6000 ق.م إلى إفريقيا الشمالية ـ مصر ـ وخليج البصرة ومناطق الفرات الأدنى والأناضول الأوسط وتشاتال هويوك، وفي أعوام ما يقارب 5000 ق.م وصل إلى القوقاز وشمال البحر الأسود والبلقان وشمال شرق إيران والهند والبينجاب وسواحل الهندوس، وفي أعوام 4000 ق.م وصل إلى الصين وكل أوروبا، وفي 3000 سنة ق.م إلى القارة الأمريكية".

وأشار اوجلان أن ما تحقق في تل حلف في فترة الألف السادس قبل الميلاد لا يمكن مقارنته إلا بأدوات القرن 16 – 20 "إن ثقافة تل حلف قد أوجدت جميع الوسائل اللازمة من أجل التحضر، كالصحون الفخارية والفأس وحياكة الصوف وطحن الحبوب والعمارة القروية الجماعية والدولاب والآلات المعدنية النحاسية والمحراث، والإيديولوجية المستندة إلى مفهوم الربة الواحدة وقبول النجوم كإشارات... الخ، هذه الأدوات هي النتاج الإنساني الكبير وهي التي تعبر عن فجر الحضارة في التاريخ البشري. وعند مقارنة دورها عبر التطور التاريخي لا يمكن مقارنتها إلا بأدوات القرن " 16ـ 20". وتمتلك هذه الثقافة هذا المعنى تاريخياً".

وفي هذا الاطار شرح أوجلان رؤيته في العلاقة بين العلم والفلسفة والميثولوجيا والدين "عند تقييم المجتمع الطبقي السومري ضمن مصدر تاريخ الحضارة التي أدى إليها، نرى أن هناك موضوعاً هاماً، وهو تأثيره على العلاقات الموجودة بين العلم والفلسفة والميثولوجيا والدين. هناك ادعاء يقول: إن العلم والفلسفة قد تطور مع الحضارة وهناك رأي مضاد لهذا الادعاء، وهناك إجماع عام على إن الاختراعات التي حدثت بين الألفية السادسة والرابعة قبل الميلاد ـ ثقافة تل حلف للمجتمع النيوليتي- لا يمكن مقارنتها إلا بالاختراعات والتكنولوجيا التي أوجدت اعتباراً منذ القرن السادس عشر بعد الميلاد. إنه ليس صحيحاً تقييم المجتمع الطبقي كمصدر للاختراعات العلمية والتقنية، بل أن الحضارة السومرية قد أثبتت أن اغلب التراكم العلمي والتقني قد تحقق قبل المجتمع الطبقي وأن الهيمنة الإيديولوجية للدولة قد لعبت دوراً متزمتاً، وإن الاختراعات العلمية والتقنية التي أضافها السومريين إلى هذا التراكم محدودة".

ويتطرق أوجلان في مرافعاته أن "الهوريين هم الذين حققوا تمأسس العصر النيوليتي في الألف السادس قبل الميلاد تقريباً، وهم بمثابة استمرار للمجموعات التي أعطت شكلاً لثقافة تل حلف".

وقسم أوجلان المراحل الأساسية للأنظمة القبلية في الشرق الأوسط إلى ثلاث مراحل:

1 ـ مرحلة تطور الزراعة والرعي: فيما بين أعوام 1000 – 6000 ق.م في المساحة الجغرافية التي تسمى بالهلال الخصيب المركزي في السهول والأودية المحاذية لسلسلة جبال زاغروس وطوروس.

2ـ التمأسس والعبور إلى النظام العشائري: ثقافة "تل حلف" المرحلة التي تشكلت فيها المجموعات العشائرية، لعبت هذه المرحلة التي استمرت 2000 عاماً تقريباً بين عامي 6000 ـ 4000 ق.م، دوراً هاماً مثل مرحلة "الاختراعات الأساسية" التي أعدت الحضارة.

ويوضح أوجلان "إن هذه المرحلة بالأساس هي التي أعدت السومريين... ودعت الحاجة إلى إقامة وحدات عشائرية تختلف عن القبائل التي تشبه بعضها البعض. واستطاعت الوصول إلى حالة المجتمعات ذات الطبيعة العرقية من خلال كيانها الموضوعي حتى ولو لم تتكون المعرفة والعقلية العشائرية القوية ولعبت الظروف المادية والاقتصادية دوراً تحديدياً في الفرز الطبقي والمرحلة القومية، فإن الظروف المادية والاقتصادية والاجتماعية لهذه المرحلة قد حددت وأظهرت المجتمع العرقي والبنى العشائرية".

3 ـ مرحلة التشكل الحضاري واستمرار عدة أشكال طبقية إلى يومنا الراهن، وعن هذه المرحلة يقول أوجلان بأنها "كانت مليئة بالحروب والتي يمكن وصفها بأشكال التصدي والاعتداء المعاند لاعتداءات قوى الحضارة المتطورة، والصراعات التي كانت تدور حول الأراضي والمصايف التي أصبحت هامة. (فمن أجل العيش، يجب أن تكون عشيرتكم قوية. ويجب أن تكون قبيلتكم وأسرتكم قوية في العشيرة أيضاً) إن هذا هو الواقع المادي الذي خلق الذهنية الجديدة".

*البعث يغير ديموغرافية روج آفا

في العصر الحديث مارس النظام البعثي سياسات شوفينية بحق الشعب الكردي في روج آفا ومن بين تلك الممارسات تعريب المنطقة عن طريق تغيير الديموغرافية حيث بني في منطقة الجزيرة 35 مستوطنة في ما يعرف بـ "الحزام العربي- 1974/6/24" وقد نال الموقع الأثري تل حلف كباقي المناطق التاريخية في روج آفا حصته من تلك السياسة حيث وزعت ما مساحته 16800 دونم من الأراضي على

55 عائلة من "الغمر" في مستوطنة بنيت بشكل ملاصق في موقع تل حلف واطلق عليها اسم "تل الحضارة" كما وزعت آلاف الهكتارات من الاراضي الزراعية على تلك العائلات في العديد من المستوطنات المحيطة بمدينة سريه كانيه.

*تحرير تل حلف

تعاقب العديد من المحتلين على المنطقة التي يتواجد فيها موقع "تل حلف" وكان آخرها في 8 شهر تشرين الثاني 2012 حيث احتلت المجموعات التابعة لتنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" وجبهة النصرة والعديد من المجموعات التي اطلقت على نفسها اسماء اسلامية، مدينة سريه كانيه ومعها بلدة تل حلف التي تضم تلك الحضارة العريقة وفي 5 تشرين الثاني عام 2013 ومع قرب الذكرى السنوية الاولى لدخول تلك المجموعات الى مدينة سريه كانيه عبر بلدة تل حلف حررت وحدات حماية الشعب YPG القرية وجميع القرى التابعة لمدينة سريه كانيه.

من سيهتم بـ تل حلف بعد الآن؟

تشير التنقيبات الأثرية أن التل ضم العديد من الحضارات خلال 8000 سنة اكتشف جزء منها والجزء الآخر لا تزال اسرارها مدفونة في التل الذي يحتاج إلى عناية للحفاظ على ما تبقى منه من آثار، حيث يتفاجئ الزائر الى التل بوجود المقابر في المنتصف الى الوقت الحالي بالاضافة الى تجمع الاوساخ في الحفر التي نقب فيها علماء الآثار الألمان في عام 2006.

ومع الاعلان عن الادارة الذاتية الديمقراطية في مقاطعة الجزيرة في 21 كانون الثاني 2014 وتخصيص هيئة البيئة والآثار، يتطلب من الهيئة تنظيف التل الأثري، وتمديد سياج في محيطه بشكل أولي والتواصل مع البعثات القديمة والاستفادة من الخبرة التي لديها وبدء التنقيب في التل والبحث عن آثار تل حلف المنتشرة في العالم والمطالبة بها كونها ملك لشعوب منطقة مزوبوتاميا واعطيت صكوك توزيع تلك الآثار من قبل الانظمة المحتلة للمنطقة.

آلان عثمان

*مصدر هذه المادة بشكل أساسي:

1- "تل حلف والمنقب الأثري فون اوبنهايم" تأليف نادية خوليدس ولوتس مارتن

2- "من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية" تأليف عبد الله اوجلان

3 – موقع تل حلف على الانترنت http://www.tell-halaf-projekt.de/

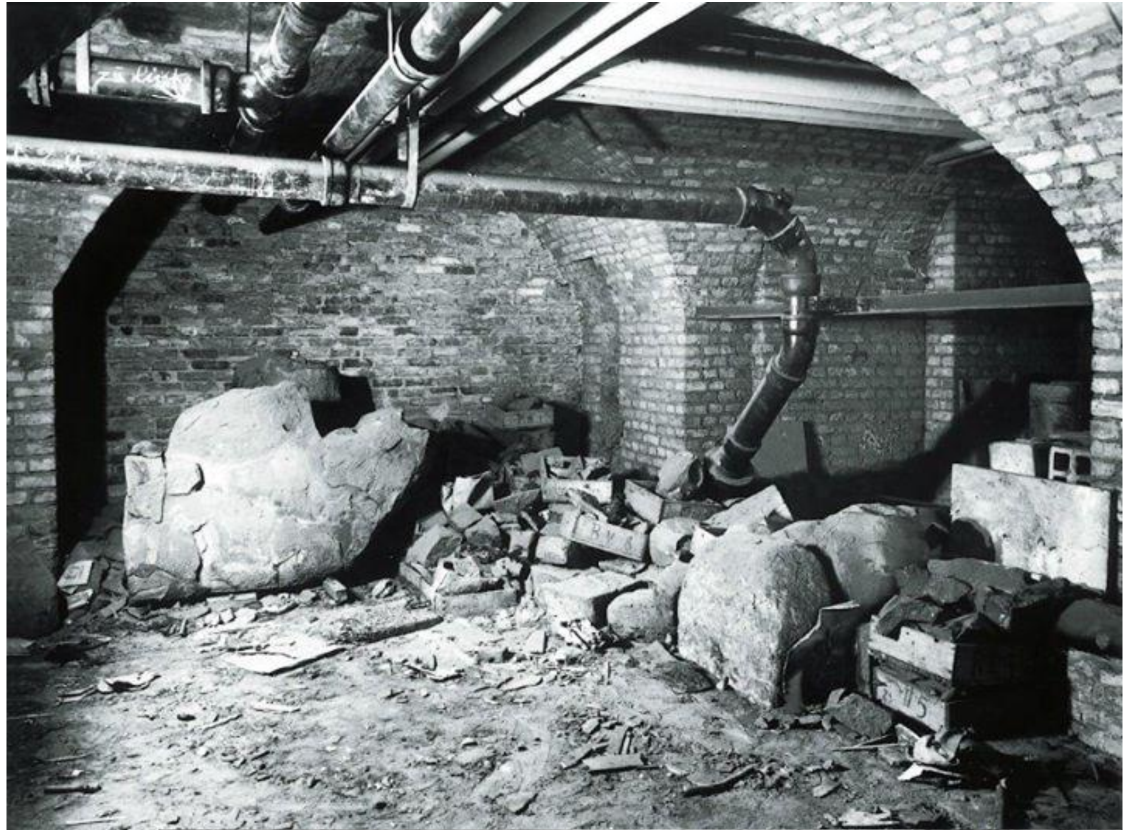
hawarnewsالأربعاء، 12 شباط/فبراير 2014 08:00

http://hawarnews.com/index.php/2013-02-14-17-53-15/10465--8-










Tell Halaf Museum

DER BURG-HÜGEL VON

TELL HALAF.

CHABUR-FLUSS

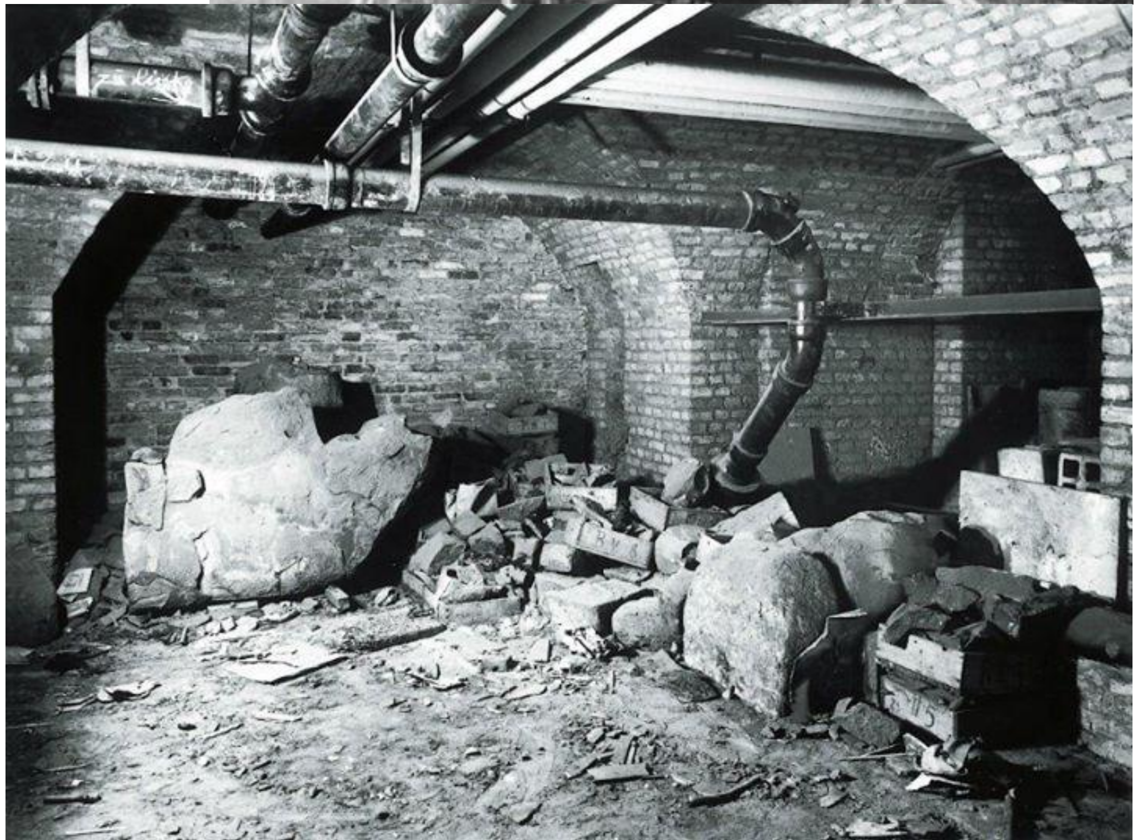
NORD-BAU

TEMPEL-PALAST

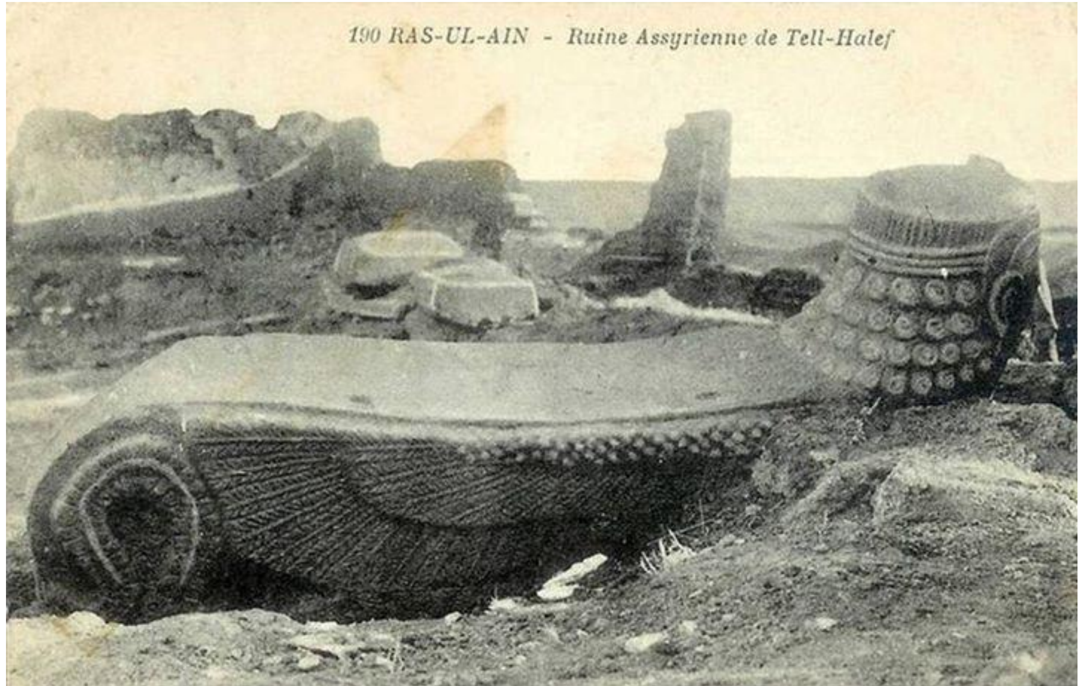
GR. SCHLOSS-HOF










190 RAS-UL-AIN - Ruine Assyrienne de Tell-Halef

















































